جنون ... جهل ... أم قداسة

نعود و العود أحمد... نعود إلى حضرة المعلم الأمين...
عندما تتلاشى لدى أحدنا كل حاجة لكل معرفة... بل تتلاشى الحاجة لمعرفة أي شيء... عندما تتحول تلك الكلمات القادمة من ذلك القلب المحب إلى حب... أجنون هو أم جهل أم قداسة ؟

في الحقيقة نادراً جداً وجداً ما يجتمع الجنون و التأمل في إنسان واحد، هناك الملايين من المجانين لكن جنونهم مرض و علة؛ لكن جنونهم هذا إشارة إلى أنهم سقطوا إلى ما دون الفكر و يجب على الأقل إعادتهم إليه؛ إلى حالته المألوفة و هذه هي النفسانية الغربية بمختلف علومها.

لكن هناك و جميعنا نعلم نوع آخر من الجنون، أما مجانين هذا النوع فقلائل جداً، لم يفقدوا الدرجة العادية من الفكر بل تجاوزوه و اخترقوه... ما دام الفكر مقياس

الجنون و مجنون من فقده فكلاهما مجنون لكن الثاني منهما بلغ ذروة من ذرى الوجود... إنه جنون مقدس... إنه ليس مرضاً بل صحة الصحة.

طبيعي ألا يتبقى لدى متجاوز الفكر أشياء يحتاج لمعرفتها، بل على الأصح و الأعمق لا يوجد من يمتلك قدرة الحاجة على تلك المعرفة... إنك فراغ... إنك صمت... إنك صفاء سكينة.

لا يمكن اعتبار الصمت جهلاً و بالتالي لا توجد حاجة لمعرفة نتعرف عليها.

هناك حقيقة غاية في البساطة... الجاهل هو من يحتاج لمعرفة، و كلما ازداد جهل أحدنا ازدادت حاجته للمعرفة مما أوجد متاهة لا نهائية، فكلما ازددت معرفة ازددت إدراكاً لجهلك؛ كلما ازددت معرفة ازددت إدراكاً لذلك الفضاء الهائل الذي لم يتم إدراكه بعد و لتلك الإمكانية الهائلة لمعرفة المزيد ... إن لحظة تمكن أحدهم من قول «عرفت كل شيء » لن تأتي أبداً.

openkandi.com

إنهم العلماء؛ إنهم الباحثون و رجال الدين من أوقعوا الإنسانية في فخهم، لا لشيء سوى أن لديهم معارف ومعلومات أكثر منا... شيدوا و لقرون طويلة قلاعاً حصينة من المعارف و يصعب على أحدنا غاية الصعوبة دخول إحدها.

كان لورد آكتون Lord Acton محقاً عندما قال بأن القوة وحدها من يدفع الناس لاحتكار المعارف واكتنازها... فالمعرفة قوة. ربما لم تكن الحال كذلك في الماضي أما اليوم فقد أصبح العلم أقوى قوى الأرض، بل ليس للكلمة « علم » معنى سوى المعرفة و المعلومات.

فقط، رجل الصمت و البراءة من لا يحتاج لمعرفة و لا معلومات لأنه ليس مريضاً و ليس بحاجة لدواء يداويه.

أن تتجاوز الفكر يعني أن تتجاوز كل الأمراض و العلل التي ابتدعها، أما أن تكون في الفكر فيعني إما أن تكون مجنوناً عادياً أو مجنوناً فوق العادية، أما إذا كنت مجنوناً فوق العادية فيعني بدوره أنك من الأقلية و ستسعى

الأكثرية و التي هي المجانين العاديون لإعادتك إلى حظيرتهم... صعب أن يقال لكنه يجب أن يقال بأن النفسانية الغربية تقوم على خدمة هدف واحد و هو الجنون العادي.

لكن هناك جنوناً آخر لا علاقة للفكر به و بالتالي لا حاجة لطب و لا طبيب نفساني لعلاجه؛ لا حاجة بك لتزعج نفسك بأمر كهذه... يأخذك التأمل بعيداً عن الفكر ويدخلك ببراءة عميقة حيث لا حاجة لأية معرفة بل سعادة غامرة بما تكون.

عندما تشعر بأنك لم تعد بحاجة لمعرفة أي شيء فعليك أن تكون بغاية السعادة و الحذر كي لا تعاود السقوط من جديد، تجنب إغراءات الفكر الذي سيحاول استدراجك باختلاق جديدة و محاولات جديدة لاكتشاف آفاق جديدة... كن حذراً و واعياً فلا توجد ثروة أثمن من تلك البراءة؛ أثمن من ألا تحتاج أية معرفة.

إنها طفولتك الثانية فقد ولدت من جديد و لم تعد عيناك مملوءتان بغبار المعرفة... لكن اللامعرفة حالة جديدة وإدراك فريد من نوعه... إنها حالة لم تعد بحاجة لتعرفها بل لتشعر بها و الشعور حالة أرفع من المعرفة و كلما أصبحت تلك النقاوة أكثر نقاوة تبدأ باحتلال وجودك بدلاً من الشعور.

عندما يتحول وجودك لمجرد سكينة صافية لن تعود بحاجة حتى إلى الشعور... إذا كان من يعلم باحثاً فإن من يشعر شاعر أو رسام أو راقص... أما من يكون ببساطة فهو قديس قد دخل سر أسرار الوجود كجزء منه... دخل سر الوجود كقطرة ندى انسابت من وردة و ذابت في المحيط... و عندها لا يوجد أي عارف و لا يوجد ما يمكن أن يُعرَف.

في حضرة المعلم الأمين تتلاشى كل حاجة لأي معرفة و لا يبقى سوى ذلك الحب؛ ذلك الحب للصوت القادم مع الكلمات... ما أتت هذه الكلمات لتؤخذ بمعانيها و لا

لتضفي علينا مزيداً من المعارف... ما هي لتعليمك و لا تحمل أية رسالة و لا هداية.

إنه و بكل بساطة يغني أغنيته بكل بساطة، لكن المعاني ليست بكلماتها و إنما هي بلحظات الصمت بين تلك الكلمات.

ربما يتساءل أحدنا عن قدرة أحد المعلمين على الاستمرار بالحديث لساعات طويلة و كل يوم، علماً بأنه قلما يقرأ كتباً و لربما هجرها منذ أعوام... لا يستمد المعلم كلماته من المعارف المحدودة كما أنه لا يعد و لا يعلم ما سيقول بعد لحظات و لماذا سيقوله... عندها يمكنك الغناء إلى الأبد.

يتحدث رجل المعارف بأشياء راكمها في ذاكرته و هذا أمر تفوقت به الحواسيب منذ مدة و لم نعد بحاجة إليه، أما المعلم فيتحدث ليستمتع و يمتعنا بلحظات الصمت بانتظارنا... مدهش أن تستطيع كلمات فعل ذلك و بطريقة

ما؛ بطريقة ما يبدو الجميع متآلفين بألفة واحدة... أما أية جهود فبالتأكيد لا حاجة لها.

قد يتحدث المعلم و نجد في حديثه بعض التناقض و هذا أمر جيد، لأن رجل الثقافة و الفكر هو من يعنى بترابط المعاني... أما أحاديث من هذا النوع فقصائد جميلة؛ أما أحاديث من هذا النوع فهي رائعة؛ أما أحاديث من هذا النوع فهي عطر ورود... أما أحاديث من هذا النوع فليست معانياً و إنما حضور حضرة.

ليس لدى المعلم الأمين ما يقوله لنا و إنما لديه فيض يريد أن يشاركنا به... ما حديثه إلا طريقة اعتباطية لنكون معاً و لنسمح لقلوبنا بالرقص مع قلبه... في اللحظة التي يبدأ فيها قلبيكما بالرقص على إيقاع واحد يكون قد وصلك ... دون أية هداية و دون أية تعاليم... دون أي نوع من الملامسة يستطيع تحويلك؛ يستطيع أن يهب وجودك نوعاً جديداً من الفرح... نوعاً جديداً من النور.

إن فيك بذوراً و ستتفتح في الوقت المناسب... ستتفتح لتصبح جنوناً رائعاً.

عندما تستطيع أن ترقص بجنون؛ عندما تستطيع أن تضحك و تغني بجنون: عندما تستطيع أن تجعل كل لحظة من لحظات حياتك احتفالاً تكون قد تعرفت على الدين الحقيقي الذي ضلت الإنسانية طريقها و هي تبحث عنه... إنه المعلم الأمين من وجد تلك الطريق و يريدك أن تكون برفقته.

دين دون نصوص؛ دين دون طوائف كريمة و لا بخيلة ودون مذاهب... دين دون أية خرافات و أوهام عن الله و عن الجنة و النار.

دين دون فضيلة و دون خطيئة... دين دون ثواب و دون عقاب.

دين بسيط يحول كل لحظة من حياتنا إلى نور... إلى شكر و صلاة.

شيء واحد مهم و مؤكد... كائناً من كان المعلم و حياً كان أم ميتاً فلكل كلمة من كلماته؛ لكل إشارة من

إشاراته... مساعدتك للتخلص من الثقافة؛ مساعدتك لتعود طفلاً من جديد ، طفلاً عيناه مملوءتان براءة و دهشة؛ طفلاً لا يعرف قلبه إيماناً و لا عقيدة؛ عينان مذهولتان بجمال الورود البرية و بروعة الغيوم في السماء و بشروق الشمس و الألوان التي يهبها للأفق كل صباح... ذهول كهذا هو الدين الحقيقي فإذا استطعت أن تحافظ عليه بعيداً عن كل ما نسميه دهاءً و حنكة ؛ إذا استطعت أن تبقيه نقياً تكون قد بلغت حقك الولادي الذي ندعوه... استنارة.

openkandl.com